

مجلة

جامعة أم القرى

للبحوث العلمية المحكمة

العدد الرابع عشر

السنة العاشرة ، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م)

رقم الإيداع ٣٣٠٣وتاريخ١٢/١١/١٤١٥هـ-الرقم الدولي المعياري للدوريات ردمد:٤٢١٦-١٣١٩ ISSN

مجلة جامعة أم القرى ، السنة العاشرة ، العدد الرابع عشر ، ١٤١٧هـ


٣٠٠٠٠١٤-٤

رؤية تاريخية لصفات مكة
عند أهل الكتاب

دكتور

علي بن محمد عودة الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ الإسلامي - كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

يتناول هذا البحث نقطة مهمة جداً هي صفات مكة والبيت الحرام عند أهل الكتاب من خلال كتبهم المقدسة التي بين أيديهم حيث أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى :

﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولّينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾.

وقد أثبت في هذا البحث أن صفات مكة ، كما أثبتها الواقع التاريخي ، موجودة في الأسفار التي عند أهل الكتاب . وقد أوردت تلك النصوص، وعلقت عليها في ضوء القرآن والسنة وفي ضوء الواقع التاريخي لمكة المكرمة .

والله ولي التوفيق ...

مقدمة :

الأمر الذي لا شك فيه أن أهل الكتاب ، لا سيما الأحبار والرهبان ، قاموا بتحريف التوارة والإنجيل ، فزادوا ونقصوا تبعاً لأهوائهم . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ، قال تعالى :

﴿ أفتطمعون أن يُؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلٰمْ ا لله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ ([1]) .

وقال تعالى :([2])

﴿ مِن الذين هادوا يُحرّفون الكلم عن مواضعه ... ﴾ ([3])

وقال تعالى :

﴿ فبما نقضهم ميثقهم لعنّٰهم وجعلنا قلوبهم قٰسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّا مما ذكّروا به ولا تزال تطّلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن ا لله يحب المحسنين ﴾ ([4])

وقال تعالى : ﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يُسٰرعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفوههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمٰعون للكذب سمّٰعون لقوم ءاخرين لم يأتوك يحرّفون الكَلِم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه إن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد ا لله فتنته

[1] – البقرة : ٧٥ .

[2] – منيبمن

[3] – النساء : ٤٦ .

[4] – المائدة : ١٣ .

فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم هم في الدنيا خِزي ولهم في الأخرة عذاب عظيم ﴾ (١) .

وقد أفرد عدد كبير من العلماء كتباً خاصة ، بينوا فيها بالأدلة النقلية والعقلية ، تحريف أهل الكتاب لكتبهم المقدسة (٢) . ومن تحريفاتهم في كتبهم المقدسة والمستمرة عبر القرون ، إخفاء اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، واسم مكة والكعبة المشرفة ، وطمس التصريح بهما ، بدليل أن شيخ الإسلام ابن تيمية أورد شواهد من أسفار العهد القديم فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم صراحة . وصفات مكة واضحة (٣) . والمعروف عن شيخ الإسلام دقته في النقل . وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذا لا ينفي وجود بقايا من حق باهت في تلك الأسفار بشرط أن يتفق مع القرآن والسنة ، أو ما يتطابق مع صفات محمد صلى الله عليه وسلم وصفات مكة والبيت الحرام .

من الحقائق المسلم بها أن أول بيت وضع للناس على هذه الأرض ، هو البيت العتيق بمكة ، وذلك بنص القرآن الكريم والحديث الصحيح ، قال تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعلمين فيه ءآيت بينت مقام إبراهيم ومن دخله كان ءآمنا و لله

---

١ – المائدة : ٤١ .

٢ – انظر على سبيل المثال : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن القيم ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، الشهرستاني : الملل والنحل ، عبد الله الترجمان : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، رحمة الله الهندي : إظهار الحق .

٣ – انظر الجواب الصحيح جـ٣ ص٣١٩ ، ٣٢٦ – ٣٣٠ ، جـ٤ ص٣-٤ .

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العلمين ﴾ ([1]) .

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر قال : (قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت . ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت كم بينهما ؟ قال أربعون سنة)([2]).

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي ذرّ قال : (قلت يا رسول الله . أي مسجد وضع في الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة)([3]) . والمقصود بالحديث هنا بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبيت العتيق ، ثم بناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بعد ذلك للمسجد الأقصى ([4]) .

رؤية تاريخية لصفات مكة عند أهل الكتاب :

لا شك أن علماء أهل الكتاب يعلمون بالضرورة ، أن الكعبة المشرفة هي بيت الله الأول على هذه الأرض ، وأنها قبلة الناس جميعاً ، وأن الله قد جعل أفئدة من الناس تهفوا إليها . قال تعالى ﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر

---

[1] – آل عمران ٩٦ ، ٩٧ .

[2] – صحيح البخاري (فتح الباري) حديث رقم ٣٣٦٦ جـ٦ ص ٤٦٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ٥ ، ص٢ ، وانظر أيضاً ابن القيم : زاد المعاد جـ١ ص ٤٩ ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ١ ص ١٠٤ .

[3] – ابن القيم : زاد المعاد جـ١ ص ٤٩ ، ٥٠ .

[4] – ابن القيم : زاد المعاد جـ ١ ،ص ٤٩ ، ٥٠ .

المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغفل عما يعملون ﴾ (١) .

فأهل الكتاب يعلمون هذه الحقيقة الناصعة ، ولكنهم يحاولون كتمها ، كما هي عادتهم في كتمان الحق ، ولا سيما فيما يتصل بهذه الأمة ، ونبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، حسداً من عند أنفسهم . ولابد لنا هنا من وقفة مع أهل الكتاب لنستخرج هذا الحق الذي يعلمونه من كتابهم الذي بين أيديهم . فنجد في الكتاب المقدس في المزمور الرابع والثمانين من العهد القديم بعنوان " تمجيدات ساكن في بيت الله " النص التالي " إلى أي مدى تكون ديارك محبّبة إلى النفس يا ربّ الجنود. تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرّب . قلبي ولحمي يشكوان للإلَه الحي. العصفور وجد بيتاً والسّنونة عُشّاً لنفسها حيث تضع أفراخها ، مذابحك يا رب الجنود مَلِكي وإلَهي . طُوبى للسّاكنين في بيتك ، إنهم سوف يكونون في المستقبل يُسبّحونك . طوبى لرجل شِدّته تكون فيك، قلبه يحمله إلى الحجّ عندما يعبرون في وادي بكّا يجعلونه ينبوعاً . المطر أيضاً يغطيه بالبرك ، يمضون من قُوّة إلى قوة " (٢) .

وحين ترجم أهل الكتاب النص إلى العربية حرّفوا فيه حتى لا تظهر صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته ولا يظهر اسم مكة ، وحذفوا كلمة الحج واستبدلوا بها ترجمة أخرى لتصرف المعنى عن مكة

١ - البقرة ١٤٤ .

2- Holy Bible . The New King James Version containing the Old and New Testaments . Thomas Nelson Pubishers Nashvill 1982. P. 402 PSALM 84 .

وعن الإشارة إلى بئر زمزم فجاء النص المترجم بالعربية كما يلي : " ما أحلى مساكنك يارب الجنود ، تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب ، قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي ، العصفور أيضاً وجد بيتاً والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها ، مذابحك يارب الجنود ، ملكي وإلهي . طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك ، طوبى لأناس عزّهم بك طرق بيتك في قلوبهم ، عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً أيضاً ببركات يغطون مورة ... " ([1])

بينما نجد في طبعة الملك جيمس باللغة الإنجليزية – وهي الطبعة المعتمدة في سائر الأوساط العلمية في أنحاء العالم لدقتها وسلامة ترجمتها – النص الصحيح الذي أوردنا ترجمته الحرفية أولاً والنص بالإنجليزية هو :

(... How lovely is your tabernacle , O Lord of hosts ! My soul longs . yes even faints for the Courts of Lord : My heart and my Flesh cry out for the living God . Even the sparrow has found home and the swallow a nest for herself , where she lay her youngs even your altars . O Lord of hosts My King and my God. Blessed are those who dwell in your house : They will still be praising you . Blessed is the man , whose strength is in you . Whose heart is set pilgrimage as they pass through the valley of Baca . They make it spring . The rain also covers it with pools . They go from strength to strength) ([2]) .

فهذه الصفات الواردة في نص سفر المزامير ، لأن التوراة هي المنزلة على موسى عليه السلام ، والمزامير هي الزبور المحرف لا تنطبق

[1]- الكتاب المقدس : العهد القديم ، مزامير ، المزمور الرابع والثمانون ١–٧ ص٨٩٢ .

[2] - Holy Bible ; P. 402 , PSALM 84 .

إلا على مكة والبيت العتيق ، فهي حرم الله وبيته الآمن عبر التاريخ لما جاء في الحديث " حرمها الله يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ... " (١) .

وقد سكنت حرمة في مكة في قلوب الناس ، فكان الرجل يلقى في الحرم قاتل أبيه فلا يرفع نظره إليه ، حتى إن العصفور وجد فيها مكاناً آمناً ، كما يذكر نص التوراة . ولا يمكن أن تكون صفة الأمن هذه متوفرة في بيت المقدس التي شهدت عبر عصور التاريخ من المعارك والمذابح ، وانتهاك المقدسات والحرمات ، ما لم تكد تشهده مدينة أخرى على وجه الأرض . ومن ذلك على سبيل المثال : المذابح التي أحدثها الفراعنة ، والآشوريون من بعدهم ، ثم البابليون بقيادة بختنصر ، ثم الرومان ، والفرس من بعدهم ، ثم ما أحدثه الصليبيون فيها ، وما تعانيه من اضطراب على أيدي اليهود في العصر الحاضر . ولم يشعر بيت المقدس بالأمان إلا إبان الفتح الإسلامي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما تلاه من عصور إسلامية . فالأمن الذي يتحدث عنه المزمور إنما هو الأمن السائد في مكة والبيت العتيق . ونص المزمور يقول " طوبى للساكنين في بيتك ، إنهم سيكونون في المستقبل يسبحونك " وهذه الصفة لا تنطبق إلا على البيت العتيق ، وعلى أمة

- الحديث أخرجه البخاري (فتح الباري) ٤٢٩٥ جـ٧ ص٦١٤ في كتاب المغازي : باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، وفي باب العلم : باب ليبلغ الشاهد الغائب ، وفي الحج : باب لا يعضد شجر الحرم : وأخرجه مسلم : انظر مسلم بشرح النووي : جـ٩ باب تحريم مكة ١٢٣ – ١٢٦ ؛ والترمذي (٨٠٩) : والنسائي ٢٠٤/٥ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ؛ ومسند أحمد ٣١/٣ ، ٣٢ من حديث أبي شريح .

محمد صلى ا لله عليه وسلم ، التي جعلها ا لله خير أمة أخرجت للناس . ثم يقول نص المزمورة " طوبى لرجل تكون شدته فيك " . فمن هو هذا الرجل ؟ أليس هو محمد صلى ا لله عليه وسلم ، الذي كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة ا لله فينتقم لله بها ([1]) .

فلم تكن شدته إلا في ذات ا لله سبحانه وتعالى . ومن ينكر أن هذه صفة محمد صلى ا لله عليه وسلم ، فهو كمن رام أن يحجب ضوء الشمس في رابعة النهار . ومن هم الذين يعبرون في وادي مكة غير محمد وأصحابه وأمته من بعده . والينبوع الذي ذكره نص المزمور في وادي بكة أليس هو زمزم ؟ ومن هم الذين يمضون من قوة إلى قوة ؟ أليس هو محمد وأصحابه وأتباعه ، الذين ظلوا كذلك حتى فتحوا مشارق الأرض ومغاربها .

والنصوص كثيرة في العهد القديم والجديد أو في الأسفار اليهودية والأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب التي تتحدث عن مكة والبيت العتيق . وبرغم إيماننا بأن أهل الكتاب حرفوا في كتابهم المقدس، كما صرح بذلك القرآن الكريم ، فإن حذفهم اسم مكة من نصوص كتابهم لم يمح الأوصاف التي بقيت التي لا تنطبق إلا على مكة، ولا تلائم إلا بيت ا لله المحرم . وقد أشار إلى بعض تلك الأوصاف شيخ

[1] - صحيح البخاري (فتح الباري) جـ٦ حديث رقم ٣٥٦٠ و ٣٥٦٢ ، ص ٦٥٤ باب صفة النبي صلى ا لله عليه وسلم .

الإسلام ابن تيمية في كتابه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ([1]) وسوف نعرض فيما يلي بعض تلك النصوص التي تتحدث وتصف مكة ثم نقوم بالتعليق عليها .

فالإصحاح الرابع والخمسون من سفر أشعيا يتحدث بأكمله عن مكة شرفها الله تعالى . فيقول نصه كما جاء في ترجمته العربية : " ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض ، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب . أوسع مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك ولا تمسكي ، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك . لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ، ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة. لا تخافي لأنك لا تخزين . ولا تخجلي لأنك لا تستحين . فإنك تنسين خزي صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد . لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى . لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب كزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة وبإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب . لأنه كمياه نوح هذه لي . كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك ، فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع ، أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب .

[1] - الجواب الصحيح جـ٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هـأنذا أبني بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة . كل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك . ها إنهم مجتمعون اجتماعاً ليس من عندي . من اجتمع عليك فإليك يسقط هأنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب .

كل آلة صورت ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب " ([1]) .

فالمراد بالعاقر هنا في سفر أشعيا مكّة شَرّفها الله تعالى – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (لأنها لم تلد قبل نبيّنا عليه السلام ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس ، لأنه بيت الأنبياء ، ومعدن الوحي ، فلم تزل تلك البقعة ولادة) ([2])

والمقصود ببني المستوحشة الذين يكونون أكثر من بني ذات البعل : أن بني هاجر التي ذهب بها إبراهيم عبر تلك البرية الموحشة إلى وادٍ غير ذي زرع ، وأسكنها فيه مع ابنها الرضيع إسماعيل ، يكونون أكثر من بني ذات البعل ، أي سارّة التي عاشت دائماً مع إبراهيم عليه السلام .

[1] – الكتاب المقدس : العهد القديم : سفر أشعيا ، الإصحاح الرابع والخمسون ١–١٧ .

[2] – ابن تيمية : الجواب الصحيح ، جـ٣ ص٣٢٧ .

والنص يشير إلى توسع مكة ، وفتوح أبناء إسماعيل فيقول : " أوسعي مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك . لا تمسكي أطيلي أطنابك وشددي أوتادك . لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ، ويرث نسلك أمماً ويعمر مُدناً خَرِبة " . وهذه الصفات لم تنطبق في التاريخ إلا على مكة والبيت العتيق ، فهي التي امتدت يميناً ويساراً ، أي شرقاً وغرباً، وامتد نفوذها على أيدي بنيها بني إسماعيل ، وهم وحدهم الذين ورثوا أمماً وعمروا مدناً خربة . قال النبي صلى ا لله عليه وسلم : " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) ([1]) . فمن تمت على يديه هذه الأفعال العظام غير بني مكة بني إسماعيل عليه السلام ، الذين ورثوا بعد بعثة محمد صلى ا لله عليه وسلم مشارق الأرض ومغاربها وورثوا كل الأمم السابقة مثل الفراعنة والفرس ، والروم ، والسريان وغيرهم ؟ وهل توجد أمة عمرت من المدن والحواضر مثلما عمره المسلمون إبان ازدهار حضارتهم ؟ ويقول النص : " لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك " والواضح أن تلك اللحظة هي منذ أدخل عمرو بن لحي الخزاعي عبادة الأصنام إلى مكة ، وعلّق هُبل في جوف الكعبة وحرف العرب عن دين التوحيد الذي جاء به إبراهيم عليه السلام ([2]) ، حتى

[1] – صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٨ ص١٣ كتاب الفتن وأشراط الساعة .

[2] – رأى النبي صلى ا لله عليه وسلم عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه – أمعاءه – في النار بسبب ما قام به من تحريف ديانة إبراهيم عليه السلام . انظر فتح الباري جـ٦ حديث رقم ٣٥٢١ وشرحه ص٦٣٣-٦٣٤ ، جـ٨ ، حديث رقم ٤٦٢٣ ص ١٣٢ – ١٣٣ ؛ وانظر أيضاً الكلبي : كتاب الأصنام ص٨ .

ظهر محمد صلى ا لله عليه وسلم ، وطهر الكعبة المشرفة من الأصنام يوم الفتح الأعظم . وتلك المدة التي مكثتها الأصنام في الكعبة إنما هي لحيظة عند ا لله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن يوما عند ربّك كألف سنة ممّا تَعدّون** ﴾ ([1]) ثم رحم ا لله مكة والبيت العتيق بكتابه المبين ورسوله الكريم وخير أمة أخرجت للناس : " فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب " والحق أن هذا لم يتحقق عبر عصور التاريخ لأي مدينة من المدن سوى لمكة المكرمة ، قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرماً ءامنا ويتخطف الناس من حولهم... ﴾ ([2]) فالسلام الإلهي الذي لم يتزعزع عبر الزمن إنما كان لمكة ولم يكن لمدينة غيرها ، وقد روى الأزرقي بسنده عن ابن عباس رضي ا لله عنهما أنه وُجد في الحِجْر كتاب من خلقة الحجَر " أنا ا لله ذو بكة الحرام ، وضعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول أخشباها ... " ([3]) .

وقول النص : " هأنذا أبني بالإثمد حجارتك ، وبالياقوت الأزرق أؤسّسك وأجعل شُرفَك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة " فهذا الوصف لا ينطبق إلا على الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ولا سيما ما شهده من عمران باهر في العصر الحاضر .

[1] - الحج : ٤٧ .

[2] - العنكبوت : ٦٧ .

[3] - الأزرقي : أخبار مكة جـ١ ص ٧٨ : وانظر ايضاً محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص٦٤٨.

" بَنِيك تلاميذُ الرّب وسلام بنيك كثير " فهل هناك أكثر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى ؟! لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج أتى السماء السادسة ومر بموسى عليه السلام فسّلم عليه فقال له موسى:مرحباً بك من أخ ونبي ، فلما جاوزه بكى موسى فقيل له:ما أبكاك ؟ فقال يا ربّ : هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي ([1])

وجاء من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قال : فكبّرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قال : فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة) ([2]) .

فمن هم تلاميذ الرب ؟ أهم الذين قالوا لموسى عليه السلام : ﴿اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون﴾ ؟ أم الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم " اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون " ؟

" وسلام بنيك كثير " فأي أمة سلامها كثير غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ إن التقى بعضهم مع بعض سلموا على بعضهم بقولهم : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " وردوا على بعضهم بمثل

[1] - صحيح البخاري (فتح الباري) حديث رقم ٣٨٨٧ جـ٧ ص٢٤١ - ٢٤٢ : صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢،ص٢٢٤ : مسند أحمد جـ٤ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، اللؤلؤ والمرجان جـ١،ص٣٧ .

[2] - صحيح مسلم بشرح النووي جـ٣ ص٩٥ : وقد أخرجه أيضاً البخاري عن أبي سعيد الخدري ، انظر البخاري (فتح الباري) جـ٦ حديث رقم ٣٣٤٩ ، ص٤٤٠ .

ذلـك . وإن افـترقوا افـترقوا بالسـلام . وبسـلامهم في كـل صلواتهـم علـى النـبي صلـى ا لله عليـه وسـلم وعلـى أنفسـهم وعلـى إخوانهـم مـن العبـاد الصـالحين بقولهـم " السـلام عليـك أيهـا النـبي ورحمـة ا لله وبركاتـه . السـلام علينـا وعلـى عبـاد ا لله الصـالحين " واختتـامهم صلواتهـم كلهـا بالسـلام . وإذا ختمـوا صلاتهـم رفعـوا أصواتهـم قـائلين " اللهـم أنـت السـلام ومنـك السلام ، تبـاركت ربنـا وتعـاليت يـا ذا الجـلال والإكـرام " ، وإذا قدمـوا للحج أو العمـرة دخلـوا إلى المسـجد الحـرام مـن بـاب السـلام وقـالوا : " اللهـم أنـت السـلام ومنـك السـلام ، حينـا ربنـا بالسـلام ، وأدخلنـا الجنـة دار السـلام " . فهـذا الوصـف الـوارد في سـفر أشـعيا لا ينطبـق إلا علـى أمـة محمـد صلـى ا لله عليـه وسـلم ، الذيـن أتخـذوا مكـة والبيـت العتيـق قبلـة لهـم ولا يمكـن أن ينطبـق علـى مدينـة غيرهـا .

وعندمـا يقـول النـص " بالـبرّ تثبتـين بعيـدة عـن الظُّلـم ، فـلا تخـافين ، وعـن الارتعـاب فـلا يدنـو منـك " . فهـذه صفـة لا تناسـب إلا مكـة البلـد الحـرام ، ولا تنطبـق علىماسـواها ، فـلا ظلـم فيهـا أبـداً لأن ا لله تعـالى يقـول : ﴿ومـن يـرد فيـه بإلحـاد بظلـم نذقـه مـن عـذاب أليـم﴾ ، ويقـول النـص : " الواقـع إنهـم سـوف يجتمعـون بثقـة ولكـن ليـس بسـببي " ([1]) ولمـا كـان الإصحـاح علـى لسـان أشـعيا فهـو يقـول : إن اجتمـا ع النـاس للحـج في مكـة ليـس بسـببه ، وهـذا حق فهـو بسـبب دعـوة إبراهيـم عليـه السـلام " ﴿ وإذ بوّأنـا لإبراهيـم مكـان البيـت أن لا تشـرك بـي شـيئاً وطهّـر بيـتي

[1] – رجعنا في هذه الجملة إلى النسخة الإنجليزية لأنها أدق من الترجمة العربية . انظر Holy Bible :Isaiah , 54 , P. 497

للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كل فجّ عميق ﴾ (١) .

ويقول النص : " من اجتمع عليك فإليك يسقط .. كل آلة صوّرت ضدّك لا تنجح ، وكلّ لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه". فمكة هي المدينة الوحيدة على وجه الأرض التي نجت من كل مؤامرات الأعداء . وهي المدينة الوحيدة التي سحقت كل القادمين إليها بشرورهم عبر العصور المختلفة منذ التابعة ومروراً بأبرهة وحتّى الرافضة في العصر الحاضر .

ليس هذا فحسب بل نجد صفات مكة وبيتها العتيق – كما أثبت تلك الصفات الواقع التاريخي عبر العصور – في الإصحاح الستين من سفر أشعيا الذي يتحدث بأكمله أيضاً عن مكة وبيت الله المحرم . وسنعرض النص هنا ثم نقوم بشرحه والتعليق عليه " قومي استنيري ، لأنه قد جاء نورك ومجد الرّب أشرق عليك ، لأنه هاهي ذي الظّلمة تغطي الأرض ، والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يُرى . فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك . ارفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا ،كلهم جاءوا إليك . يأتي بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غِنَى الأمم، كثرة الجمال تغطي أرضك كلّها . الجمال العربية من مَدْين وعيفة ومن سَبَأ سوف تأتي تحمل ذهباً ولباناً ، تنادي بتسابيح الرب . كل

(١) – الحج : ٢٦ ، ٢٧ .

غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت،تصعد مقبولة على مذبحي . وسوف أعظّم البيت لتسبيحي . من هؤلاء الطائرون كالسّحاب وكالحَمام إلى بيوتها ؟ إن الجزائر تنتظرني ، وسُفُن تَرْشِيش ([1]) في الأول لتأتي ببنيك من بعيد ، وفضّتهم وذَهبهم معهم ، لاسم الرب إلهَك وقدّوس إسرائيل لأنه قد مجّدك.

وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأني بغضبي ضربتك ، وبرضواني رحمتك . وتنفتح أبوابك دائماً ، نهاراً وليلاً لا تغلق . ليؤتي إليك بغنى الأمم ، وتقاد ملوكهم . لأن الأمة والمملكة لا تخدمك تبيد ، وخراباً تخرب الأمم . مجد لبنان سوف يأتي إليك . السَّرو والسِّنديان والشّربين معاً لزينة مكان حرمي ، وسوف أجعل مكان رجلي معظماً .

وبنو الذين أحزنوك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يخرّون ساجدين عند باطن قدميك ويدعونك مدينة الرّب .. عوضاً عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك ، أجعلك فخراً أبدياً فَرَح دور فدور . وترضعين لبن الأمم،وترضعين ثدي ملوك ، وتعرفين أني أنا الرّب ، مخلّصك ووليك عزيز يَعقوب . عوضاً عن النّحاس آتي بالذّهب ، وعوضاً عن الحديد آتي بالفضّة ، وعوضاً عن الخشب

[1] – ترشيش بالفتح : اسم مدينة تونس التي بأفريقية .

قال الحسن بن رشيق القيرواني : ترشيش اسم مدينة تونس بالرومية . انظر : ياقوت : معجم البلدان، مادة ترشيش .

بالنّحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد ، وأجعل وكلاءك سلاما ، وولاتك براً.

لا يسمع بعد ظلم في أرضك ، ولا خراب أو سحق في تخومك بل تسمين أسوارك خلاصاً وأبوابك تَسبيحاً ، لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ، ولا القمر ينير لك مضيئاً بل الرّب يكون لك نوراً أبدياً وإلهك زينتك . لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص ، لأن الرب يكون لك نوراً أبدياً وتكمل أيام نوحك . وشعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي لأتمجّد . الصغير يصير ألفا ، والحقير أمّة قوية . أنا الرّب في وقته أسرع به " (١) .

وقبل أن نبدأ في تحليل هذا النص والتعليق عليه ، يجدر بنا أن نشير إلى أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد تنبه لهذا الإصحاح في سفر أشعيا ، الذي يتحدث عن مكة وصفاتها . وقد أورد فقرات صغيرة منه وعلق عليها . وتختلف تلك الفقرات قليلاً عن النص الحالي المترجم إلى العربية وعن ترجمة الملك جيمس بالإنجليزية ، مما يشير إلى أن شيخ الإسلام اعتمد على ترجمة مختلفة في زمنه ، أو أن أحبار يهود ظلّوا على عادتهم في تحريف الكلم عن مواضعه ، لإخفاء اسم مكة واسم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، إذ إن تلك النصوص التي أوردها شيخ الإسلام تذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم صراحة ، وتورد صفات

(١) – الكتاب المقدس : العهد القديم ، أشعيا ، الإصحاح الستون ١–٢ وانظر أيضاً .. Holy Bible Isaiah . 61 . P. 501 .

مكة بصورة أوضح ([1]) . وبرغم ذلك فإن الإصحاح الذي أوردنا نصه آنفاً يتحدث جميعه عن مكة ومستقبلها منذ زمن أشعيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . يقول النص " قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك " وهذه بشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وبدء نزول الوحي عليه في غار حراء حيث كانت تلك الحادثة بداية التحول في تاريخ البشرية لإخراجها من الظلمات إلى النور، وبدء نزول آخر الكتب وأفضلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، والذي يضم المنهج الصحيح الذي ينبغي أن تسير عليه البشرية لتنال سعادة الدارين " لأنه ها هي ذي الظّلمة تعطي الأرض والظلام الدامس الأمم " . وهذه الحالة كانت حقيقة واقعة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أشار القرآن الكريم إليها بقوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ ([2]) .

كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة فقال : " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب) ([3]) . وأولئك البقايا من أهل الكتاب – وهم قليل بالقياس إلى عامة النصارى واليهود – هم الذين عرفوا الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فأمنوا به مثل عبد الله بن سلام ،

[1] – انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص ٣٢٦ – ٣٣٠ .

[2] – الروم : ٤١ .

[3] – صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٧ ص١٩٧ .

والنجاشي ، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وغيرهم . " أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى . فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك ". وقد أشرق الله بنوره على مكة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم لينقشع الظلام الدامس ويعبد الله وحده لا شريك له وينتصر دينه ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ فتشرق مكة بنور الله ، وتتطهر من الأصنام ، ويتلو محمد صلى الله عليه وسلم وهو يسقط الأصنام بمحجنه يوم الفتح الأعظم قول الله تعالى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾(1) ومنذ ذلك الحين سارت الأمم والملوك في هدي النور الذي أنزله الله على نبيه بمكة التي أشرقت على الدنيا فأنارتها بالقرآن العظيم .

ويقول النص : " ارفعي عينيك حواليك وانظري . قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك . يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الأيدي " فها هي الجموع في كل موسم وفي كل حين تأتي إلى مكة لأداء فريضة الحج والعمرة من كل حدب وصوب وها هم أولاء بنو إسماعيل الذين انساحوا في مشارق الأرض ومغاربها ناشرين الدين الحق يأتون إليها من بعيد للحج والعمرة . وتزدهي مكة بقدومهم ويخفق قلبها لهم وتتسع جنباتها لكل القادمين رغم كثرتهم . " لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتي إليك غنى الأمم " فأي مدينة على وجه الأرض حدث لها هذا عبر العصور غير مكة ؟ ! فهي الوحيدة التي تحقق لها هذا استجابة من الله

(1) - الإسراء ٨١ .

سبحانه وتعالى لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام حين قال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ ([1]) فكما يشهد التاريخ كانت وما زالت الغلال والثمار والسلع والأموال ترد من كل مكان إلى مكان ، وتأتيها النفقات والهبات من سائر أقطار المسلمين فضلاً عن الهدايا والتحف والكسوة الثمينة التي كان يبعث بها الخلفاء والسلاطين للكعبة . بل نجد كل مسلم في أقطار الأرض يوفر من قوت يومه عبر سنوات طويلة ثم يأتي بما جمعه طوال عمره لينفقه في مكة مؤدياً فريضة الحج والعمرة .

" كثرة الجمال تغطي أرضك . الجمال العربية من مدين وعيفة([2]) جميعها من سبأ سوف تأتي تحمل ذهباً ولباناً تنادي بتسابيح الرب " فأي أرض في الدنيا غطتها الجمال غير مكة ؟ التي كانت جموع الجمال تساق إليها هدياً بالغ الكعبة عبر عصور التاريخ منذ إبراهيم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي كل موسم حج تكتظ نواحيها بالجمال العربية القادمة من كل مكان ، من مدين وعيفة في شمال جزيرة العرب ، ومن سبأ يأتي أهلها بالجمال التي تحمل السلع والتوابل والذهب واللبان ، ومنذ أن يصلوا إلى المواقيت يلبسون ثياب

[1] - إبراهيم : ٣٧ .

[2] - يذكر سفر التكوين ٢٥ : ٢-٤ أن إبراهيم عليه السلام تزوج بعد وفاة سارة زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا . وولد يقشان شبا وددان . وكان بنو ددان أشوريم ولطوشيم ولأميم . وبنو مديان عيفة وعفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والدعة .
العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الخامس والعشرون ٢-٥ ، ص ٣٨ .

الإحرام وينادون بالتلبية طوال طريقهم إلى مكة ﴿ ليشهدوا منفع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومت على ما رزقهم من بهيمة الأنعم فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ([1]) .

" كل غنم قيدار تجتمع إليك كباش نبايوت تخدمك . تصعد مقبولة على مذبحي " وقيدار كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " هو ابن إسماعيل باتفاق الناس ، وربيعة ومضر من ولده ومحمد صلى الله عليه وسلم من مضر " ([2]) ومن أراد أن يصرف شيئاً من هذا النص عن مكة إلى مدينة أخرى غيرها فهو كمن يزعم أن الشمس لا تشرق إلا من المغرب !!! فغنم العرب من بني قيدار بن إسماعيل لا تجتمع إلا في مكة ، في منى ، وفي أيام الحج من كل عام . وكباش نبايوت وهو نابت بن إسماعيل وشقيق قيدار ، ونبايوت هو بكر إسماعيل ([3]) لأنه لم يذكر التاريخ أن شاة أو جملاً واحداً من أنعام هؤلاء سيقت إلى بيت المقدس لتذبح هناك . وجميع تلك الأغنام والكباش يتقبلها الله سبحانه وتعالى من عباده حين تنحر في مذبح الرب المشهور على هذه الأرض وهو منى في يوم العيد الأكبر وبقية أيام التشريق ، فقد قال النبي صلى الله عليه

[1] – الحج : ٣٨ .

[2] – ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ، ص ٣٢٨ .

[3] – أورد سفر التكوين ٢٥: ١٣–١٥ أسماء بني إسماعيل : " وهذه أسماء بني إسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وقدمه " العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الخامس والعشرون ١٣ – ١٦ ، ص٣٩.

وسلم لأصحابه : (نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم)([1]) .

ثم يتحدث النص عن الكعبة مباشرة فتقول الترجمة العربية " : وأزين بيت جمالي " . أما النص الإنجليزي فترجمته : " وسوف أعظم البيت من تسبيحي **And I will glorify the house of my glory** " أما الترجمة التي اعتمدها شيخ الإسلام ابن تيمية فنصها " لتلبسي الحلل، وتزيني بالإكليل مثل العروس " ويعلق على ذلك بقوله : " وذلك إيضاح من أشعيا بشأن الكعبة ، فهي التي ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة " ([2]) . والكعبة هي البيت الوحيد على وجه الأرض الذي يكسى بأجمل وأفخر أنواع الحرير والقصب وقد تنافس المسلمون عبر العصور في كسوة الكعبة ، ولها حالياً مصنع خاص بتلك الكسوة التي تكلف أموالاً كثيرة .

" من هؤلاء الطائرون كالسحاب وكالحمام إلى بيوتها ؟ " إنهم وفود الحجيج الذين يفدون إلى الديار المقدسة جواً في كل موسم حج في العصر الحديث ، من كل حدب وصوب وبحركة جوية لا مثيل لها. " إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش – تونس – لتأتي ببنيك من بعيد وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك " . حقاً لقد ظلت سفن تونس عبر العصور تحمل الحجاج إلى

[1] – صحيح مسلم بشرح النووي باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم جـ٨ ، ص ١٩٥ : وأخرجه أبو داود برقم ١٩٣٧ : وابن ماجه برقم ٣٠٤٨ ، وأحمد في المسند جـ٣/٣٢٦ .

[2] – ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ، ص٣٢٩ .

مكة، . القادمين من الأندلس والمغرب وصقلية وجزر البليار وسائر جزر البحر المتوسط ، ومعهم الأموال التي جمعوها لإنفاقها في مكة ، وشراء الهدي والأضاحي لله تعالى وذلك لأن الله قد عظم مكة وجعلها قبلتهم إلى يوم الدين .

" وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك " من هم بنو الغريب ؟ أليسوا الحكام والسلاطين المسلمين وهم في مجموعهم من غير العرب ، وليسوا من أبناء إسماعيل إن هؤلاء الذين بنوها وشادوا علامات حدودها وخدموها عبر القرون بدءاً من السلطان صلاح الدين الأيوبي الكردي الأصل ومروراً بسلاطين المماليك الذين لا يمتون بصلة نسب لبني إسماعيل وانتهاءً بسلاطين آل عثمان الأتراك الذين خدموا جميعاً مكة والبيت العتيق وتلقبوا على مدى القرون الماضية بلقب خادم الحرمين الشريفين حيث كانوا يرون في ذلك اللقب شرفاً ما بعده شرف " وتنفتح أبوابك دائماً . نهاراً وليلاً لا تغلق " ومكة هي المدينة الوحيدة التي ظلت عبر القرون مفتوحة الأبواب لوفود الحجاج والمعتمرين والمجاورين " لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد ، وخراباً تخرب الأمم" . وقد شهد التاريخ حرص الدول الإسلامية التي قامت منذ العصر الأموي وحتى العصر الحديث على بسط نفوذها على الحرمين الشريفين ولا سيما مكة المكرمة لتحظى بخدمة الكعبة المشرفة ولتضفي على حكمها صبغة الشرعية في نظر عامة المسلمين .

ويقول النص : " مجد لبنان إليك يأتي السرور والسنديان والشربين معاً لزينة مكان حرمي وسوف أجعل مكان رجلي معظماً " .

وهذا جرى فعلاً على مر العصور فقد استخدم المسلمون أجود أنواع الخشب من السرو والسنديان لسقف الكعبة في كل التجديدات التي جرت لها ولتزيين المسجد الحرام . وسوف أجعل مكان رجلي معظماً . فالمقصود مقام إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ([1]) ولا يستبعد أن أحبار يهود حذفوا من النص كلمة إبراهيم التي نرجح أنها كانت موجودة بعد كلمة رجلي حتى لا يتجه ذهن القارئ فوراً إلى بيت ا لله الحرم بمكة ، لأنه لا يوجد مكان لأثر رجلي إبراهيم عليه السلام إلا بجوار البيت العتيق . ومما يزكي هذا الرأي أن أهل الكتاب كانوا يتوقون إلى سرقة مقام إبراهيم ، بدليل ما ذكره الفاكهي بسند صحيح من أن رجلاً كان بمكة يقال له جريج – يهودي أو نصراني – قد تظاهر بأنه أسلم ففقد المقام ذات ليلة ، فطلب فوجد عنده . أراد أن يخرجه إلى ملك الروم . فأخذ منه وضربت عنق جريج ([2]) .

" وبنو الذين أحزنوك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يخرون ساجدين عند باطن قدميك . " فمن هم الذين أحزنوا الكعبة ؟ إنهم كفار قريش وسائر مشركي العرب ، الذين أحزنوها بمقاومة دعوة محمد صلى ا لله عليه وسلم واضطهاد أصحابه . وفي نهاية المطاف دحروا وقتلوا فخضع أبناؤهم لدعوة الحق ، وساروا إلى الكعبة

[1] – البقرة : ١٢٥ .

[2] – الفاكهي : أخبار مكة جـ١ ص ٤٥٢ حديث رقم ٩٩١ .

خاضعين . وكل الذين أهانوها بتعليق الأصنام في جوفها يخرون في الوقت نفسه ساجدين عند باطن قدميها .

ويمضي النص في الحديث عن مكة إلى أن يقول : " لا يسمع بعد ظلم في أرضك ، ولا خراب في تخومك ، بل تسمين أسوارك خلاصاً ، وأبوابك تسبيحاً ". وهذا الوصف لا ينطبق إلا على مكة ، البلد الحرام ، ولا ينطبق على غيرها فهي التي لا يسمع بعد ظلم في أرضها ، لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بنفي الظلم عنها بقوله تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد نذقه من عذاب أليم ﴾ ([1]) . ولا خراب يوجد أو سحق في تخوم مكة ، ولا يمكن أن يكون هذا الوصف منطبقاً على بيت المقدس التي شهدت تخومها في بلاد الشام من الخراب والدمار والغزوات والحروب والفتن على مر العصور ما لم تشهده بلاد أخرى .

أما أسوار مكة التي تسمى خلاصاً ، فهي مواقيت الحج والعمرة ، التي يحرم منها الحجاج ويتخلصون من ملابسهم ومن كل أدران الدنيا ، ويحرمون بالثياب البيضاء الخالية من المخيط ، ويعلنون بالتوبة والتلبية راجين من الله أن يغفر لهم ذنوبهم ، وأبواب مكة تسبيحاً فعندما يصلها الحجاج يعلنون قائلين " سبحان الله والحمد لله والله أكبر ... " إلى آخر الأدعية والتسابيح المأثورة . ثم يتحدث النص عن النور الذي يضيء سماء مكة في كل الأوقات إلى أن يقول : " وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسي عمل يدي لأتمجد . الصغير يصير ألفاً ، والحقير أمة قوية . " وهذا الوصف لم

[1] - الحج : ٢٥ .

يتحقق إلا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفسقون ﴾ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس ؛ أي كتب العهد القديم والعهد الجديد .
- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .
المسند ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ٢٥٠هـ)
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .
تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦ هـ)
الصحيح (فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري . للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)
بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- الترجمان (عبد الله الترجمان الأندلسي ، كان حياً سنة ٨٢٣هـ) . تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب
تحقيق محمود على حماية ، القاهرة ١٩٨٤م .
- الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة ، ت ٢٧٩هـ)
الجامع الصحيح (السنن) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وآخرين، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .

- ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، ت٧٢٨هـ)
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
مطابع المجد التجارية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، ت٤٥٦هـ)
الفصل في الملل والنحل ، بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني ، ت ٢٧٥ هـ)
السنن ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- رحمة الله خليل الرحمن الهندي .
إظهار الحق . القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨هـ)
الملل والنحل . القاهرة ١٩٧٧م .
- الطبري (محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي ، ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) .
القرى لقاصد أم القرى .
تحقيق مصطفى السقا . القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- عبد الباقي ، محمد فؤاد
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان
ط / دار الفكر . بدون تاريخ .

- الفاكهي (أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي ، من علماء القرن الثالث الهجري) .
أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه .
تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .
مكة المكرمة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي ، ت ٧٥١هـ) .
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى
جدة . ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، ت ٢٠٤هـ)
كتاب الأصنام ، القاهرة ١٩٦٥م .
- ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ت ٢٧٥هـ).
السنن . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٥٣م .
- مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، ت ٢٦١هـ)
صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م .
- النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب،ت ٣٠٣هـ)
السنن . القاهرة ، ١٣٤٨هـ .
- ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان . بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- **The Holy Bible , New King James Version Copyright . U.S.A. 1982.**